بدار الخلافة حنبلي، فقال القادسي: أنا حنبلي، وما أريد أن أصلِّيَ بكم. وسمعه الخليفة، فصاح: صلِّ على مذهبك. وكانت وفاته في شوَّال، ودُفِنَ بباب حَرْب.

المُظَفَّر بن المبارك بن أحمد[1]

أبو الكرم، البغدادي، الفقيه الحنفي.

ولد سنة ستٍّ وأربعين وخمس مئة، وتفقَّه، ودرَّس بمشهد أبي حنيفة، وولي حِسْبة بغداد، وكان فاضلاً، أميناً، ثِقَةً.

السنة الثَّانية والعشرون وست مئة

في ربيع الأول وَصَلَ خوارزم شاه جلال الدِّين إلى دقوقا، ففتحها عَنْوَةً، وأوقع السَّيْف في أهلها، ونَهَبَ أموالهم، وسبى حريمهم، وهتك نساءهم، وأحرق البلد، وهَدَمَ سوره، وكانوا قد عَصَوْا عليه، وسبُّوه من الأسوار، وبالغوا في شَتْمه، وعَزَمَ على قَصْد بغداد، فانزعج الخليفةُ، وأخرج المال، وفَرَّق في العساكر ألف ألف دينار، ونَصَبَ المجانيق على الأسوار، وفرَّق السِّلاح، وفتح الأهراء، [وحكى لي المعظم قال: كتب إليَّ يقول:][2] تحضر أنت ومن عاهدني، واتَّفِقْ معي حتى نقصد الخليفة، فإنَّه كان السبب في هلاك أبي، ومجيء [الكفار][3] إلى البلاد، وجدنا كُتُبه إلى الخطا، وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخِلَع. قال المعظم: فكتبتُ إليه: أنا معك على كلِّ أحدٍ إلا على الخليفة، فإنَّه إمامُ المُسْلمين.

[قال][3]: وبينا هو على عَزْم بغداد، وكان قد جهَّز جيشاً إلى الكُرْج إلى تِفْليس [فكتبوا إليه: أدركنا، فما لنا بالكُرْج طاقة، وبغداد ما تفوت. فسار إلى تفليس،][3] فخرج إليه الكُرْج، فضرب معهم مصافَّ، فَقَتَلَ منهم سبعين ألفاً، وفتح تفليس عَنْوَةً، وقتل منها ثلاثين ألفاً، [فصاروا مئة ألف، وذلك][3] في سَلْخ ذي الحِجَّة.

---

(١) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ٣/ ١٢١، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦٢١هـ)، و«البداية والنهاية»: (وفيات سنة ٦٢١هـ)، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٤٨٨ـ٤٨٩.

(٢) في (ح): وفتح الأهراء. وكتب جلال الدين إلى المعظم، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها صَلَبَ المعظَّم ابنَ الكعكي ورفيقاً له منكَّسين على رؤوسهما، وكان ابنُ الكعكي رأسَ حزب وخَلْفه جماعةٌ، كانوا ينزلون على النَّاس في البساتين، ويقتلون وينهبون، والمعظَّم في الكَرَك، وبلغه أَنَّ ابنَ الكعكي قال للصَّالح إسماعيل وكان ببُصْرى: أنا آخذ لك دمشق. فَكَتَبَ المعظَّم إلى والي دمشق بأن يصلب ابن الكعكي ورفيقه منكَّسين، فصلبهما في العَشْر الأواخر من رمضان، فأقاما أياماً لا يتجاسر أحدٌ أن يُطْعمهما ولا يسقيهما، فماتا، وكان رفيقُ ابنِ الكعكي رجلاً خيّاطاً، شهد له أهلُ دمشق بالصَّلاح والبراءة مما كان فيه ابن الكعكي، وقدم المعظم دمشق بعدما ماتا، فمرض مرضاً عظيماً أشفى منه، ثم أَبَلَّ، ولم يزل ينتفض عليه حتى مات.

وحجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام علي بن السَّلَّار.

وفيها توفي

الإمام النَّاصر لدين الله[1]

أبو العَبَّاس أحمد بن الإمام المستضيء بالله.

قد ذكرنا سيرته مفرَّقة في السنين، وأَنَّه ولد عاشر رجب سنة ثلاثٍ وخمسين وخمس مئة، وبويع بالخِلافة غُرَّة ذي القَعْدة سنة خمس وسبعين، وكانت وفاته ليلة الأحد سَلْخ رمضان عن تسعٍ وستين سنة، وكانت خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً وأياماً، ولم يبلغ أحدٌ من بني أمية ولا من بني العَبَّاس هذا العدد إلا المستنصر من المِصْريين [فإنه][2] ولي ستين سنة، ومن الملوك سنجر، وكان للنَّاصر خادم اسمه رشيق قد استولى على الخلافة، وأقام مُدَّة يوقع عن الخليفة، وكان [قد][2] قَلَّ بصره وقيل: ذَهَبَ [مرة][2]، وكانت به أمراضٌ مختلفة، منها عسر البول والحصى، ولقي منه شِدَّة، وشَقَّ ذَكَرَه مراراً، ومازال يعتريه حتى قتله، وغَسَّله [خالي][2] أبو محمد يوسف بن الجوزي، وكان قد عَمِلَ له ضريحاً عند موسى بن جعفر، فأمر الظَّاهر بحمله إلى

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٧٩-٣٨٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الرُّصافة، فَحُمِلَ في تابوت، ودُفِنَ عند أهله، وقيل: توفي في سابع وعشرين رمضان، وبويع أبو نَصْر محمد.

الباب الخامس والثَّلاثون

في بيعة الإمام الظَّاهر بأمر الله.

[(١)قد ذكرنا أن أباه خطب له بولاية العهد في سنة خمس وثمانين وخمس مئة، وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة، لأنه ولد في المحرم سنة سبعين وخمس مئة، وخطب له على المنابر]، وعزل في سنة إحدى وست مئة، ثُمَّ أُعيد إلى العهد في سنة ثماني عشرة وست مئة، ولما مات أبوه استدعى المكينَ القُمِّي وقشتمر والأنباري والأعيانَ إلى البَدْرية، فشاهدوا النَّاصر ميتاً مسجّى، فبايعوا أبا نَصْر محمداً، ولقَّبوه بالظَّاهر بأمر الله، وهذه البيعة الخاصَّة، ثم بويع البيعة العامة؛ حَضَرَ القضاةُ مع الأعيان فبايعوه.

وكان جميلَ الصُّورة، أبيضَ مُشْرباً حُمْرةً، حلو الشمائل، شديد القُوَى، أفضت الخلافةُ إليه وله اثنتان وخمسون سنة إلا شهوراً، فقيل له: ألا تتفسَّح؟ فقال: قد قاش الزَّرْع، فقيل له: يبارك الله في عُمُرك، فقال: مَنْ فَتَحَ دُكَّاناً بعد العَصْر أَيْش يكسب؟ ولما بُويع أحسنَ إلى النَّاس، ولم يؤاخذ أحداً ممن سعى في خَلْعه، وكان النَّاس يظنُّون خِلافَ ذلك، وخاف الخونة واستعدُّوا للمهالك، وكتبوا وصاياهم، فقابل الإساءة بالإحسان [والتجاوز بالامتنان](٢)، وصلَّى على أبيه بالتَّاج، وعمل العزاء ثلاثة أيام، وفَرَّق الأموال، وأَبْطَلَ المكوس، وأزال المظالم.

ذِكْرُ وزراء النَّاصر، ونحو ذلك:

وَزَرَ له عبد الله بن يونس، وابن حديدة، وابن القَصَّاب، وابن مهدي، وكَتَبَ له محمد بن الأنباري، وولده علي، ثم اسفنديار، ثم ابن القَصَّاب، ثم يحيى بن زبادة، ثم القُمِّي.

---

(١) في (ح): ولد في المحرم سنة سبعين وخمس مئة، وخطب له على المنابر بولاية العهد سنة خمس وثلاثين (كذا) وعزل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

[ذِكْرُ فتوحاته][1]:

وفتح خوزستان وششتر، وتشتمل على أربعين قلعة، وهَمَذَان، وأصبهان ـ وحُمِلَ إليه خَرَاجُها ـ وتكريت، ودقوقا، والحديثة.

[ذِكْرُ عماراته][1]:

وعمر رباط الأخلاطية والتربة، ورباط الحريم، ومشهد عبد الله، وتربة عون ومعين، وتربة والدته التي إلى جانبها، والرباط المقابل لها الذي كان دار والدته، ومسجد سوق السُّلْطان، ورباط المَرْزُبانية، ودور المضيف في جميع المحالّ، ودار ضيافة الحاجِّ [ودار المسناة، ودار الملك وجعلها رباطاً، والدار البيضاء التي كان يسكنها عند التاج][1]، وغَرِمَ على هذه الأماكن أموالاً جليلة، ونقل الكُتُبَ النفيسة بالخطوط المنسوبة والمصاحف الشَّريفة إلى النِّظامية، ورباط الخلاطية، والرباط الذي إلى جانب تربة والدته، ورباط الحريم، وغير ذلك.

عليُّ بنُ سليمان بن جَنْدَر[2]

سيف الدين بن علم الدين.

كان من أكابر أمراء حلب، كثيرَ الخير والصَّدقات الدَّارَّة، والبِرّ الوافر، وبنى بحلب مدرسةً للشَّافعية، وبظاهرها مدرسة للحنفية، ووَقَفَ عليهما الأوقاف، وبنى الخاناتِ في الطُّرقات، وكان حنفيَّ المذهب، وله الغَزَوات المشهورة، والمواقف المذكورة، [وكان صديقي، خدمني مدة إقامتي بحلب][1]، وكانت وفاته بحلب في العَشْر الأواخر من جُمادى الأولى.

عليُّ بنُ صلاح الدين، الملك الأفضل[3]

ولد بمِصْر سنة خمس وستين وخمس مئة، وكان فاضلاً، شاعراً، حسنَ الخَطِّ، تقلَّبتْ به الأحوالُ حتى ألقاه الدَّهْر بسُمَيْساط، وكانت وفاتُه يوم الجمعة في ربيع الأول، ونُقِلَ إلى حلب، فدفن بظاهرها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨١.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٤٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ومما يُعْزى إليه من الشِّعْر أَنَّه كَتَبَ إلى الخليفة لما أُخرج من دمشق، واتَّفق عليه العادلُ والعزيز: [من البسيط]

مــولايَ إنَّ أبــا بــكــر وصــاحِــبَــه عثمان قد غصبا بالسَّيْفِ حَقَّ علي
فانْظُرْ إلى حَظِّ هذا الاسم كيف لقي مــن الأواخــر مــا لاقــى مــن الأُوَلِ

[وبلغني أنه كان ينكر هذا الشعر أنه له، وقد ذكرنا من شعره لما قصده العزيز من مصر][1].

عليّ الكُرْدِي المولَّه[2]

[3]الذي كان بباب الجابية، واختلفوا فيه، فبعض الدماشقة يزعم] أَنَّه كان صاحب كرامات، وأنكر ذلك آخرون، وقالوا: ما رآه أحدٌ يصلي [ولا لبس مداساً][1]، وكان يدوس النَّجاسات، ويدخل المسجد على حاله، وقيل: كان له تابعٌ من الجن [يتحدَّث على لسانه][1].

قال المصنف رحمه الله: حكت لي امرأةٌ صادقة، قالت: ماتت [أمي باللاذقية، ولم أُصدِّق][1]، وجاء قوم فقالوا: ماتت، وجاء آخرون فقالوا: ما ماتت. فخرجتُ إلى باب الجابية وهو قاعدٌ عند المقابر، فوقفتُ عنده، فرفع رأسه، وقال: ماتت ماتت، أيش تعملي؟ وكان كما قال.

وحكى لي عبد الله صاحبي، قال: جعتُ يوماً وما كان معي شيء، فاجتزتُ به، فدفع إليَّ نِصْفَ دِرْهم، وقال: يكفي هذا للخبز والقَنْبَرِيس.

ودخل يوماً على [محمد][1] الدَّوْلعي ـ خطيب دمشق ـ المقصورة، وكان يغشاه، فقال له الدَّوْلعي: يا شيخ علي، قد أكلتُ اليوم كسيراتٍ يابسةً، وشربتُ عليها الماء، وكفتني. فقال له: وما تطلب نفسك شيئاً آخر؟ قال: لا، فقال: يا مسكين! مَنْ يقنع بكِسَرٍ يابسة يحبسُ نفسه في هذه المقصورة، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج، وخلفه مئة ألف دينار، وكل هذا لأجلِ المحراب لا يزاحمك عليه أحد، والله لا كَلَّمْتُك أبداً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ترجم له أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨١-٣٨٢ نقلاً عن سبط ابن الجوزي.

(٣) في (ح): يزعم بعض الدماشقة أنه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن أبي القاسم بن محمد، الفخر[1]

أبو عبد الله ابن تيمية، الحَرَّاني.

خطيب حَرَّان وفقيهها، وبها ولد، وقدم بغداد، وتفقه، ووعظ، وسَمِعَ الحديث الكثير، وصنَّف الخُطَب والتَّفْسير وغير ذلك، وكان فاضلاً، فصيحاً، أنشد على المنبر: [من السريع]

أحبابَنا قد نَذَرَتْ مُقْلَتي ... ما تلتقي بالنَّوْم أو نلتقي
رِفْقا بقَلْبٍ مُغْرَمٍ واعطُفوا ... على سَقَامِ الجَسَدِ المُعْرَقِ
كم تَمْطُلوني بليالي اللِّقا ... قد ذَهَبَ العُمْرُ ولم نلتقِ

وقال الجمال بن دبوقة، كاتب الملك الأشرف: كنت بحرَّان سنة مات ابنُ تيمية، فجلس يوم عاشوراء ومدح معاوية بنَ أبي سفيان على المنبر، وبالغ وأطنب، فاختلط على المنبر، ونزل مريضاً، فأقام إلى يوم الخميس خامس صفر يعاني أمراضاً صعبة، ومات فيه، وكان يقول: ما قتلني إلا يومُ عاشوراء.

السنة الثالثة والعشرون وست مئة

فيها قدم محيي الدِّين بن الجوزي دمشق رسولاً إلى المعظم، ومعه الخِلَعُ لأولاد العادل من الخليفة الظَّاهر، ومضمون رسالته رجوع المعظم عن الخوارزمي.

قال المصنف رحمه الله: قال لي المعظم: قال خالك: المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي إلى إخوتك، ونُصْلح بينكم. وكان المعظَّم قد بَعَثَ الرَّكين مملوكه إلى الخوارزمي، فرحَّله من تفليس، وأنزله على خِلاط، والأشرف بحرَّان. قال: فقلتُ لخالك: إذا رجعتُ عن الخوارزمي وقَصَدني إخوتي، تنجدوني؟ قال: نَعَمْ، فقلتُ: ما لكم عادة تنجدون أحداً، هذه كُتُبُ الخليفة الناصر عندنا، ونحن على دِمْياط، ونحن نكتب نستصرخ به، فيجيء الجواب بأَنْ قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة، ولم يفعلوا. قال:

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٣٨ـ١٣٩، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٨٢-٣٨٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.